الفصل الخامس

ترغيبه ﷺ بالتوجه نحو بيت المقدس وسكناه والجهاد على أرضه

أولاً: حثه ﷺ على سكنى بيت المقدس

عن ذي الأصابع رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: «إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: "**عليك ببيت المقدس، فلعله ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذاك المسجد ويروحون**"»[1].

سؤال يمكن أن يكون قد خطر على قلب معظم الصحابة الذين تعلقت قلوبهم بحبيبهم المصطفى، لكن أحدهم عبَّر عنه بالسؤال المشفوع بوصف الابتلاء «إن ابتلينا بعدك بالبقاء».

وتأتي الإجابة الجامعة من النَّبي ﷺ التي تضمنت عدة أمور، منها بشارة بفتح بيت المقدس، واستقراره بأيدي المسلمين لهم ولذريتهم من بعدهم..

كما أن إجابته احتوت على مدحٍ لذلك المسجد ولمن يتردد عليه، فمجاورته تجلب بركات عديدة، ومن ذلك البركة لمن جاوره بصلاح ذريته وتعلقهم بالمسجد.

بل إن صيغة الإجابة توحي بالأمر بالإقامة ببيت المقدس حال فتحه، فقد

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: مسند المدنيين، حديث رقم: ١٦٣١٣، والمعجم الكبير للطبراني: رقم ٤١١٥، والطبقات الكبرى لابن سعد: برقم ٩٢٦٥، والهيثمي.

استخدم النَّبي ﷺ لفظ "**عليك**" وهو اسم فعل أمر، وفي ذلك ما يشبه الحصر للخيارات الممكنة، إذ إنه لم يعرض عليه مكاناً غيره كخيار آخر.

ولأنه ﷺ أوتي جوامع الكلم، فقد تعدى جوابه الصحابي الذي سأله إلى أجيال تليه، فالإجابة لا تقتصر على إقامة مؤقتة لذلك الصحابي، وإنما هي إقامة طويلة الأمد تشمل ذريته من بعده.

وفي إجابته ﷺ دلالة على حرص شديد منه أن يعمر أصحابه ذلك المسجد ويحيطوا به وينغرسوا في محيطه، هم وأبناؤهم من بعدهم، ليبقى على مدى الزمان صرحاً إسلامياً خالصاً لا ينازعهم فيه أحد.

إن هذا الحديث يؤصل للعديد من المسائل المهمة جداً، منها ما يتعلق بتوريث القضية، كما قال المفكر والشاعر المسلم محمّد إقبال: «على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة لا إله إلا الله، أن يقطع على نفسه العهد على إنقاذ الأقصى».

فإذا كان اليهود الأنجاس قد اغتصبوا قدس الأقداس لغفلة المسلمين واستهانتهم بها وبالمسجد الأقصى المبارك، فإنّ ذلك يضع المسؤولية على كل مسلم أن يعيد بناء المكانة الحقيقية للقدس والأقصى وأرض الإسراء في نفسه أولاً، ثم في أفراد أسرته وجماعته ومجتمعه وشعبه ودولته.. كما فعل الصهاينة من قبل فأطلقوا شعارات (شلّت يميني إن نسيتك يا أورشليم) و(العام القادم في أورشليم) و(لا معنى لإسرائيل من دون القدس، ولا معنى للقدس من دون الهيكل).. حتى استولوا عليها.

إن علينا أن نغرس حبّ القدس والمسجد الأقصى المبارك في نفوس أطفالنا، ونوجّه جميعاً بوصلة اهتمامنا لها، ونواجه مخطط تهويدها بمخطط تحريرها.. علينا أن نستشعر أن ما أخفقنا في إنجازه أمانة في أعناقنا سنسأل عنها، ولا كفارة عنها إلا بتوريثها لأبنائنا وأحفادنا كي يواصلوا المسير، ويحققوا ما عجزنا عن تحقيقه، كما قال الشاعر يحيى برزق رحمه الله:

وَأَنْتِ يَا قُدْسُ يَا مَنْ بِاسْمِهَا خَفَقَتْ مِنِّي الجَوَارِحُ لا زَيْفٌ وَلا مَلَقُ
فِي قَيْدِ حُبِّكِ أَحْيَا العُمْرَ مُنْطَلِقاً وَلَسْتُ مِنْهُ وَرَاءَ القَبْرِ أَنْعَتِقُ
وَسَوْفَ يَرْجِعُ شَعْبِي إِنَّهُ قَدَرٌ لا الدِّينُ وَهْمٌ وَلا التَّارِيخُ مُخْتَلَقُ
إِذَا سَقَطْتُ سَيَمْضِي عَاشِقاً وَلَدِي لِلدَّارِ يَلْثِمُهَا وَالدَّارُ تَعْتَنِقُ
فَحِكمَةُ الله أَنْ يَهْوِي الطُّغَاةُ غَداً اللَّيْلُ يَلعَنُهُمْ وَالفَجْرُ وَالغَسَقُ[1]

وحسبنا في ذلك توجيه النَّبي ﷺ لكل أب وأم، أن يَضطَلعا بمسؤولياتهما تجاه أبنائهما، فقد قال ﷺ: "**ألا كلكم راعٍ. وكلكم مسؤول عن رعيته. فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته. والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم. والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم. والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسؤول عنه. ألا فكلكم راعٍ. وكلكم مسؤول عن رعيته**"[2].

ونصل هنا إلى المسألة الثانية التي يحويها هذا الحديث، وتتعلق بمسار الصراع الإسلامي - الصهيوني، ألا وهي قضية حق العودة للاجئين الفلسطينيين الذين هجروا عن أرضهم وديارهم عام **١٩٤٨**م ثم **١٩٦٧**م، وتشردوا بعدها في بقاع الأرض، إذ تعدّ مسألة عودتهم الأعقد في حيثيات الصراع، فالصهاينة يرفضون رفضاً قاطعاً مجرد مناقشة عودتهم، لأن ذلك -حسب تقديرهم- سوف يتسبب في إغراق أرض فلسطين بالعرب، ما يجعل اليهود أقلية مقابلهم، فيختل التوازن (الديمغرافي) وتختل طبيعة الدولة (اليهودية)، ويترتب على ذلك حدوث خطرٍ وجوديٍ ماحقٍ للمشروع الصهيوني، يمكن أن يودي به وينسفه من جذوره، ولذلك فإن كل المفاوضات التي أجريت مع اليهود لم تكن تتطرق مطلقاً لهذه المسألة. وبعيداً عن بعض القوانين الدولية الخجولة، ذات النصوص الضعيفة التي أقرَّت الفتات من حقوق شعبنا في هذه المسألة، فإن الخطوة الجادة

(١) قصيدة يا قدس: الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر يحيى برزق.
(٢) الراوي: عبد الله بن عمر، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: **١٨٢٩**، خلاصة الدرجة: [صحيح].

المباركة التي جوبه بها التعنت الصهيوني كانت بالإصرار على حق العودة، وإقامة تجمعات في العديد من البلدان للتمسك بهذا الحق، بل والإعلان أن العودة إلى الأرض المقدَّسة ليست حقاً فحسب، ولكنها واجب على كل من أُخرج منها، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأن القبول بالتعويض المادي أو الأدبي أو التوطين بديلاً عن العودة جريمة ترقى إلى درجة الخيانة بحق الدِّين والوطن.

ومن خلال الحديث الذي يتصدر هذه النقطة يتبين لنا أن التوجه نحو بيت المقدس واجبٌ على كلّ محبٍّ مطيعٍ للنبي الكريم ﷺ، بغض النظر عن أصله وفصله ونسبه، وما علينا إلا أن نعلنها واضحة صريحة بأن حق العودة إلى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس الذي ننادي به، يشمل كل مسلم موحِّدٍ في أرجاء البسيطة كافة، بل هو يرقى إلى حدّ الوجوب الذي لا يملك أحد من البشر أن يلغيه أو يفرِّط فيه على مر الزمن.. واجبٌ ألزمنا به نبينا وهادينا، حين أمر أصحابه وأتباعه وأحبابه بلزوم الأرض المقدَّسة كما في توجيهه لذي الأصابع رضي الله عنه.

وحتى لا يظن أحد أن الأمر يختص بصحابي بعينه، فقد تكرر ذلك الأمر من النَّبي ﷺ مع أكثر من صحابي وهو ما سنورده في الأحاديث والنقاط التالية.

إضاءة: وصية النَّبي ﷺ أصحابه بسكنى بيت المقدس تدل على حرصه على ديمومة إعماره بالصالحين من أمته.

ثانياً: جند إلى بيت المقدس

مشهد آخر مشابه لما سبق، من صحابي آخر هو عبد الله بن حوالة الأنصاري رضي الله عنه، الذي سمع رسول الله ﷺ يقول: «"**سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق**". قال ابن حوالة: خِرْ لي (اختر لي) يا رسول الله إن أدركت ذلك. فقال: "**عليك بالشام،**

فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غُدُركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله"»[(١)].

في لفظ آخر أن ابن حوالة رضي الله عنه قال: «يا رسول الله خِرْ لي بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر على قربك شيئاً. قال: "**عليك بالشام**"، فلما رأى كراهتي للشام (لأنه من أصحاب الماشية التي لا تناسبها بيئة الشام)، قال: "**أتدري ما يقول الله في الشام؟ إن الله عز وجل يقول: يا شام، أنت صفوتي من بلادي، أُدخل فيك خيرتي من عبادي، إن الله تكفل لي بالشام وأهله**"»[(٢)]. ومعنى الغُدُر، جمع غدير، وهي القطعة من الماء يغادرها السيل.

وقد جاء الحديث برواية أخرى عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ أنه قام يوماً في الناس فقال: "**يا أيها الناس! توشكون أن تكونوا أجناداً مجندة، جند بالشام، وجند بالعراق، وجند باليمن**"، فقال ابن حوالة: يا رسول الله! إن أدركني ذلك الزمان فاختر لي، قال: "**إني أختار لك الشام، فإنه خيرة المسلمين، وصفوة الله من بلاده، يجتبي إليها صفوته من خلقه. فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله**"[(٣)].

وورد أيضاً في حديث عن واثلة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول

---

(١) الراوي: ابن حوالة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داوود، الصفحة أو الرقم: ٢٤٨٣، وصحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٣٦٥٩، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٢) الراوي: عبد الله بن حوالة، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ١٠/ ٦١، خلاصة الدرجة: [روي] من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة. وقد أخرجه أبو داوود: ٢٣٨٣، وأحمد في المسند: ٤/ ١٠٠، ١١٠، ٥/ ٣٣-٣٤/ ٨٨، والحاكم: ٤/ ٥١، والطحاوي في مشكل الآثار: ٢/ ٣٥، وغيرهم..

(٣) الراوي: العرباض بن سارية، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: ٣٠٨٨، خلاصة الدرجة: [صحيح لغيره]. أخرجه الطبراني في الكبير: ١٨/ ٢٥١، رقم ٦٢٧، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٩): ورجاله ثقات.

لحذيفة بن اليمان، ومعاذ بن جبل، وهما يستشيرانه في المنزل، فأومأ إلى الشام، ثم سألاه فأومأ إلى الشام، ثم سألاه فأومأ إلى الشام، قال: "**عليكم بالشام، فإنها صفوة بلاد الله - عز وجل - يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله عز وجل تكفل لي بالشام وأهله**"»[(١)].

وقد جاء النص أيضاً في رواية عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: "**إنكم ستجندون أجناداً، جند بالشام ومصر والعراق واليمن**" قالوا: فخر لنا رسول الله؟ قال: "**عليكم بالشام**" قالوا: إنا أصحاب ماشية، ولا نطيق الشام. قال: "**فمن لم يطق الشَّام فليلحق بيمنه، فإن الله قد تكفل لي بالشام**"[(٢)].

وهذه الأحاديث بمجموع رواياتها تعبِّر عن هديٍ نبويٍّ جليلٍ في كيفية غرس حبّ المسجد الأقصى المبارك وبيت المقدس في قلوب أصحابه، فالنبي ﷺ يستخدم أسلوب التشويق بذكر أمر مستقبلي غيبي أعلمه الله به بقوله: "**يا أيها الناس توشكون أن تكونوا جنوداً مجندة**". وهو أمر محبَّب إلى نفوس أصحابه، الذين تربوا في مدرسة الجهاد والرباط والجندية تحت لواء النَّبي ﷺ، حتى رسخ في نفوسهم أن ذروة سنام الإسلام الجهاد..

ويوحي حديثه بكثرة عددهم وعتادهم "**جنوداً مجندة**"، وهذا الأمر بحدِّ ذاته بشارةٌ بانتشار الإسلام وقوة شوكته، وهو يبعث في النفس الراحة والطمأنينة والفخر والاعتزاز، مع الأمل بنيل شرف الانتماء إلى تلك الجنود..

ثم تأتي المفاجأة منه ﷺ، بأن تلك الجنود ستغطي مساحات واسعة، وأماكن بعيدة هي الشَّام والعراق واليمن..

---

(١) الراوي: واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: ٣٠٩٠، خلاصة الدرجة: [صحيح لغيره]. أخرجه الطبراني في الكبير وحكم عليه الشيخ الألباني بالصحة في صحيح الجامع رقم ٣٩٤٩.

(٢) الراوي: أبو الدرداء، المحدث: البزار، المصدر: البحر الزخار، الصفحة أو الرقم: ١٠/ ٧٩، خلاصة الدرجة: [لا نعلمه يروى عن رسول الله أحسن من هذا الحديث]. وأخرجه الطبراني. وللحديث شواهد يرقى بها إلى الصحة.

وتظهر فطنة الصحابة، وشدة حرصهم على أعلى مراتب الخير، بسؤال نبيهم ﷺ أن يختار لهم، فيختار لهم الشام..

وهو هنا يختار لهم الأحبّ إلى نفسه ليصبح الأحبّ إلى نفوسهم، مهما كانت التكاليف والتبعات. ولترسيخ ذلك يسوق النَّبي ﷺ لهم ثناء من الله عز وجل على الشَّام بقوله: "**أتدري ما يقول الله تعالى في الشام؟ إن الله تعالى يقول: يا شام، أنت صفوتي من بلادي، أدخل فيك خيرتي من عبادي**"، وذلك لما رأى كراهة مردّها أنهم أصحاب ماشية.. وفي ذلك رسالة إلى أمته بفضل الجهاد والرباط على أرض الشَّام مهما كانت الظروف..

كما أن إصرار النَّبي ﷺ على اختيار الشَّام لأصحابه ثلاثاً «وهما يستشيرانه في المنزل، فأومأ إلى الشام، ثم سألاه فأومأ إلى الشام، ثم سألاه فأومأ إلى الشام»، دلالة على تمسكه بذلك الاختيار، وتفضيله على باقي الخيارات، لعظيم مكانته وعلوِّ قدره عليهم، وما ذاك إلا لوجود المسجد الأقصى المبارك في قلب الشام.. وفي ذلك تنبيه للمسلمين أن المسجد الأقصى اليوم بحاجة إلى جهد كل مسلم مهما نأت دياره وابتعدت بلاده، وأن العمل لأجله مقدَّم على العمل لأي بقعة إسلامية أخرى.

وبنظرة سريعة للتاريخ، نجد أن الصحابة والتابعين تمسكوا بهدي نبيهم ﷺ واختياره لهم، فعقب معركة الجسر التي هزم فيها الجيش الإسلامي في العراق في مواجهة الفرس، واستشهاد ٤٠٠٠ شهيد مع قائدهم أبي عبيد بن مسعود الثقفي، اجتمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقبيلة بجيلة في السنة الثالثة عشرة للهجرة وسألهم: «أي الوجوه أحبّ إليكم؟ قالوا: الشام.. أسلافنا بها، قال عمر: بل العراق فإن أهل الشَّام قد قووا على عدوهم، وإن في الشَّام كفاية. ولم يزل بهم وهم يأبون عليه حتى أكرههم على ما أراد، وعوَّضهم عن إكراههم واسترضاءً لهم بربع خمس ما أفاء الله عليهم».

وفي موقف آخر قدم سبع مئة من كنانة والأزد فسألهم عمر: «أي الوجوه

أحب إليكم؟ قالوا: الشام، أسلافنا أسلافنا، قال عمر: ذلك قد كفيتموه، العراق العراق.. ذروا بلدة قد قلَّل الله شوكتها وعددها، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش، لعل الله أن يورثكم بقسطكم من ذلك، فتعيشوا مع من عاش من الناس، وبعثهم إلى العراق». وهنا لابد من الإشارة إلى أن قولهم: أسلافنا أسلافنا، قد لا يعدو كونه مجرد ذريعة، ومحاولة للتملص بأدب من طلب أمير المؤمنين.

وفي السنة الرابعة عشرة للهجرة جاءت إلى عمر بالمدينة جموع قدرها ثمانية آلاف للخروج جهاداً في سبيل الله، ومن ضمنهم ألفان وخمس مئة من النخع، وجاءهم عمر في معسكرهم فقال: «إن الشرف فيكم يا معشر النخع لمتربع، سيروا مع سعد بن أبي وقاص إلى إخوانكم من أهل العراق»، وأرادهم أن يتجهوا إلى العراق فأبوا إلا الشام، وأصرَّ عمر على ذهابهم إلى العراق، ثم قسمهم، فأمضى نصفهم إلى العراق، فكانوا أربعة آلاف، وأمضى النصف الآخر إلى الشام..

وتلك الأخبار تدلّ على مدى تعلّق المسلمين الأوائل بالشام، واضطرار أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى استخدام صلاحياته (ترغيباً وترهيباً)، لثنيهم عن التوجه إلى الشام، لعلمه بأن ميزان القوى راجح هناك لمصلحة المسلمين، فيما العراق بحاجة إلى المدد.

وعودة إلى الحديث إذ يختم النَّبي ﷺ كلامه بالثناء على الشَّام وعلى أهله بقوله: "**إن الله تكفل لي بالشام وأهله**".. فمن كان في كفالة الله تعالى فلن يضيره شيء إلا ما كتب الله له، فهو في رعاية المولى القدير ويا لها من مكانة عظيمة وشرف بالغ.

ونحن هنا نكون قد وصلنا إلى محطة هامة، لنا أن نجمع فيها بين هذا الحديث، والحديث الذي مرَّ بنا سابقاً عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع، فقال رسول الله ﷺ: "**طوبى**

للشام". فقلنا: لأي ذلك يا رسول الله؟ قال: "**لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها**"»[1].

فوجود الملائكة بشكل دائم في الشَّام يمكن أن يكون شكلاً من أشكال تلك الكفالة الربانية للشام وأهله، تغيثهم وترعاهم وتحفظهم وتثبت أقدامهم، وتبشرهم بنصر الله القريب، تماماً كفعلهم يوم الفرقان ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٨/ ٩-١٠].

ومن يدقق في هذا الأمر، يبهره ذلك الجمع الرائع بين الجنود المجندة وكفالة الرحمن ووجود الملائكة، فالجنود المجندة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ لا يمكنها تحقيق الظفر إلا بكفالة الله لها ومنحها نصره، تلك الجنود بحاجة إلى الملائكة دائماً في مسيرتها المباركة، تحتاج إليها في مرحلة التجميع والإعداد، وفي مرحلة ما قبل المواجهة عندما ترتفع الأكفّ بالدعاء، وحين تبلغ القلوب الحناجر، وحين تزلّ الأقدام وتتزلزل، بحاجة إلى الملائكة في مرحلة المواجهة والصِّدام وجهاً لوجه، حين تهرق الدماء، وتتقطع الأشلاء، وتزهق الأرواح، ويفر الجبناء، بحاجة إلى الملائكة في مرحلة النصر، وما بعد النصر حين تقبل الدنيا، ويصيب الغرور المقاتلين في مقتل، وحين ينشغل البعض في غنائم تلك المواجهة، ويتسلل الشيطان لإفساد ذات البين، ليصبح عندها تثبيت الأقدام بعد النصر أهم من النصر نفسه كما قال عز وجل: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٤٧/ ٧].

من هنا يتبين لنا بأن حاجة تلك الجنود المجندة إلى الملائكة أشد من حاجتها إلى السلاح والعتاد، فانظر معي إلى تلك الموافقة العجيبة: رسول الله ﷺ

(١) الراوي: زيد بن ثابت، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: ٣٩٥٤، خلاصة الدرجة: [صحيح].

يبشر أصحابه بأنهم سيكونون جنوداً مجندة تسير إلى اليمن والعراق والشام ومصر، ويختار لهم الشام، ولا غرابة؛ فإن الملائكة موجودة هناك بوفرة وكثرة!!

إن الزاد الملائكي الذي تحتاج إليه تلك الجنود، وفير في الشَّام الذي تفيض بركات بيت المقدس فيه إلى ما حوله، كيلا يزهد أهله في وسام الشرف الذي يحوزونه ببقائهم على أرض لا تهدأ أبداً، أرض رباط دائم وجهاد لا ينقطع، مع وعد من الله ورسوله بوجود المدد الملائكي اللازم لمواصلة طريق الجهاد ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ٨/ ١٢]، وليتواصل تجنيد الأجيال جيلاً بعد جيل لرفع راية التوحيد في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، تظلِّلهم أجنحة الملائكة المبسوطة في سماء المعراج، تخفف عنهم ما يصيبهم من شدَّة ولأواء، وتخفِّف عنهم آثار الحصار الجائر والخذلان المرّ، تردّ عنهم شرّ مضلات الفتن، وتعينهم على تحمّل تبعات الرباط والجهاد المتواصلين، ومقارعة الغزاة المحتلين، صليبيين ومغول وصهاينة حاقدين، ومن بعدهم الدجّال وأتباعه، ويأجوج ومأجوج، ومن نعرف ومن لا نعرف.

إنها كفالة الله للشام وأهله بملائكته الباسطة أجنحتها عليه.. فيا طوبى لكم يا أهل الشام، طوبى لكم بكفالة الله لكم ولأرضكم المقدَّسة، وطوبى لكم صحبتكم ملائكة الرحمن، ويا طوبى لمن تشبَّه بملائكة الرحمن، فاختار أن يكون سنداً لكم، ومثبتاً لكم في أرضكم، وداعماً لجهادكم وكافلاً لمجاهدكم، ومساهماً في رفع الظلم والحصار والضَّيم عنكم. ألم يقل رسول الله ﷺ: "**من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا**"[(١)]؟.

(١) الراوي: زيد بن خالد الجهني، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٢٨٤٣، ومسلم في صحيحه، الصفحة أو الرقم: ١٨٩٥، خلاصة الدرجة: [صحيح].

.. ويا خسارة من أدار ظهره لكم ولجنودكم المجندة وحشودكم المرابطة، ولم يأبه بوعيد المصطفى ﷺ حين قال: "**من لم يغز، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله تعالى بقارعة قبل يوم القيامة**"(١).

إضاءة: اختيار النَّبي ﷺ أولوية توجه جنود الإسلام نحو الشَّام كان له أثر كبير في غرس حبها في نفوس أصحابه والتسابق للانخراط في جيوش الفتح المتجهة نحوها.

ثالثاً: إقطاعه ﷺ تميماً الداري أرض الخليل

كان النَّبي ﷺ وهو يجهز الجيوش يعلم يقيناً أن دولة الإسلام ستبسط نفوذها على الأرض المقدَّسة، وهو ما جعله يقطع منها لأحد أصحابه هو تميم الداري رضي الله عنه ويكتب له كتاباً بذلك، ومن المعلوم أن تميم بن أوس الداري اللخمي كان من قبيلة لخم العربية المتجذّرة في أرض فلسطين، وهي ذات الأصول العربية العريقة في هذه البلاد وفي أكناف بيت المقدس، وكان تميم بن أوس الداري رضي الله عنه رجلاً من أهل الكتاب، واستدل بعلمه أن النَّبي محمّداً ﷺ سيظهر في الجزيرة العربية.

وقد أورد مجير الدين الحنبلي في كتابه الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل هذه الحادثة فيقول: «وقد حكى المؤرخون لفظ الإقطاع على وجوه مختلفة، وقد رأيت عند التكلم على الإقطاع المشار إليه، قطعة الأديم التي يقال إنها من خف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد صارت رثَّة وفيها بعض أثر الكتابة، ورأيت معها ورقة مكتوبة في الصندوق الذي فيه قطعة الأديم، منسوب خط هذه الورقة إلى أمير المؤمنين المستنجد بالله العباسي تغمده الله برحمته، كتب فيها نسخة الإقطاع وصورة ما كتبه المستنجد بخطه:

(١) الراوي: أبو أمامة الباهلي، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: ١٣٩١، خلاصة الدرجة: [حسن].

(الحمد لله، هذه نسخة كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لتميم بن أوس الداري وإخوته في سنة تسع من الهجرة، بعد منصرفه من غزوة تبوك، في قطعة أديم من خف علي بن أبي طالب، وبخطه، نسخته كهيئته رضي الله تعالى عنه وعن جميع الصحابة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنطاه محمّد رسول الله ﷺ لتميم الداري وإخوته: حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم وما فيهن، نطية بت بينهم، ونفذت وسلَّمت ذلك لهم ولأعقابهم، فمن آذاهم آذاه الله، فمن آذاهم لعنه الله، شهد عتيق بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وكتب علي بن أبي طالب، وشهد. وقد نسخت ذلك من خط المستنجد بالله كهيئته، ولعل هذا أصح ما قيل فيه، والله أعلم)».

وهذا الحديث -حديث الإنطاء - المشهور بين أهالي بلدة الخليل في فلسطين، وما توارثه الخلف عن السلف من إقطاع، مازال التميميون ينعمون فيه منذ أزمان بعيدة حتى وقتنا الحاضر، يؤكد أن هذه البلاد أي: أرض فلسطين عامة، وبيت المقدس خاصة، وأكنافها كانت تعيش فيها قبائل عربية ذات جذور عميقة وموغلة في القدم في هذه الديار، وكانت تدين بالنصرانية، وكان ممن فتح الله عليهم أن تعرَّفوا في الكتب المقدَّسة أن النَّبي محمّداً ﷺ سيبزغ نوره في أرض الجزيرة، ولما علم تميم رضي الله عنه بهذا الخبر طار هو وأخوه نعيم في السنة التاسعة للهجرة؛ أي في غزوة تبوك، وأعلنا إسلامهما، وكتب لهما ﷺ هذا الحديث، لأنه زويت له الأرض من مشارقها إلى مغاربها، ولأنه يعلم بأن الله سبحانه وتعالى سيفتح هذه البلاد على أيدي المسلمين، وأنها ستكون أرضاً إسلامية، وهذا ما حدث فعلاً.

وكان من نتائج ذلك أن فتح المسلمون بيت المقدس، وأصبح الإقطاع وقفاً على آل تميم، كما أنه رضي الله تعالى عنه أصبح والياً إدارياً على بيت المقدس بعد الفتوحات الإسلامية. وهذا من دلائل النبوة، وإعجاز الدعوة الإسلامية، التي عمَّ نورها أكناف بيت المقدس وديار فلسطين وأرض الشَّام عامّة. وهو من الهدي النبوي الفريد الذي رسَّخ في نفوس أصحابه أنَّ أرض فلسطين وبيت

المقدس وأكنافه هي أرض إسلامية، وأنها سوف تُحكم لا محالة من قبلهم، وأنها ملكٌ لهم من قبل ومن بعد.

إضاءة: بَشَّر رسول الله أصحابه بفتح بيت المقدس وأقطعهم أرضها كي يوقنوا بأنها مكتوبة لهم بأمر الله تعالى إلى يوم الدين، فيتشبثوا بها ولا يفرطوا بها لأحد أبداً مهما عظمت التضحيات.

رابعاً: مكمن الخير والرزق والغنيمة

لم يقتصر ترغيب النَّبي ﷺ على قصد بيت المقدس جهاداً، وشدّاً للرِّحال، ومجاورةً، وسكنى له، على الأجر الأخروي والحصول على الثواب الجزيل والأجر الكبير من الله وحسب، ولكنه جمع معه الثواب الدنيوي، مثله في ذلك مثل المسجد الحرام، الذي أخبر الله تعالى أن لقاصديه أن يجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة بقوله: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٢/٢٨]..

فإلى جانب ذلك الثواب، ذكر النَّبي ﷺ ميزة أخرى لبيت المقدس وأكنافه بأنه مكمنٌ للخير والرزق والغنيمة، إضافة إلى قرة العين التي ستأتي لاحقاً، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "**إن الله استقبل بي الشام، وولّى ظهري اليمن، وقال لي: يا محمّد: إني جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقاً، وما خلف ظهرك مدداً. ولا يزال الإسلام يزيد، وينقص الشرك وأهله، حتى تسير المرأتان لا تخشيان إلا جوراً. والذي نفسي بيده، لا تذهب الأيام والليالي حتى يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم**"[(١)].

إنه حديث رقيق يتحدث فيه نبينا ﷺ عن فضل الله ومنته عليه بتوجيهه صوب الشام، وجعل ظهره لليمن، والله لا يوجهه إلا لما يحبّ ويرضى، ثم إنّه كتب

(١) الراوي: أبو أمامة الباهلي، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ١٧١٦، والصحيحة: برقم ٣٥، خلاصة الدرجة: [صحيح]. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٦/ ١٠٧-١٠٨، والطبراني في الكبير: ٨/ ١٧٠-١٧١، رقم ٧٦٤٢.

له الرزق والغنيمة الدائمة فيما وجه وجهه إليه، وأمده بالمدد من خلف ظهره.. وما كتبه الخالق جلَّ في علاه لا يمحوه مخلوق مهما كان..

ارتبط ذكر الشَّام في الكثير من أحاديث النَّبي ﷺ بالجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وارتبط أيضاً بالبركة والرخاء، ولا عجب في ذلك فالجهاد مصدر خير وبركة، كما صرَّحت بذلك الأحاديث الشريفة كقوله ﷺ: "**وجُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري**"(١) ..

وهو في ذلك الحديث يربط بيت المقدس وأكنافه بالغنيمة والرزق للمسلمين، ولا أريد أن أحصر ذلك بالغنيمة المادية المجردة، فقد رزق المسلمون بفتحهم لتلك البقاع مهابةً وسطوةً على سائر أمم الأرض، يسَّرت لهم الامتداد في فتوحاتهم شرقاً وغرباً، وحازوا على استقرار وثبات في الحكم قلَّ نظيرهما عند غيرهم، وقد كان ذلك واقعاً ملموساً بعد فتح بيت المقدس في زمن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد تكرر ذلك عقب تحريره من الغزاة في كل مرة، فقد حصل المسلمون على غنائم من الروم، ومن الصليبيين، ومن التتار، وحسبك في ذلك غنائم أجنادين واليرموك وحطين وعين جالوت، والمسلمون الآن مدعوون إلى اجتثاث اليهود من بيت المقدس وأكنافه ليغنموا ما أعلاه اليهود وبنوه هناك، وعندها فلن تبقى هامة الأمة منكَّسة، وستفرض احترامها على سائر الأمم، وتنتزع كل حقوق أبنائها في كل بقاع الأرض بيسر وسهولة..

ولا أجد غضاضةً هنا في تذكير أهل اليمن بضرورة الاهتمام بذلك الوسام الذي قلَّده إياهم نبيهم وحبيبهم ﷺ، بأنهم المدد على مدى الزمان، مذكِّراً لهم ولإخوانهم بأمجاد سطَّرها أجدادهم على ثرى الأرض المقدَّسة التي تصرخ وتستغيث وتئن وتشكو ولا من مجيب، وبضرورة أن يكون لهم دور مميز

(١) الراوي: عبد الله بن عمر، المحدث: البخاري، كتاب الجهاد والسير، خلاصة الدرجة: [صحيح].

وملموس في رفد المشروع المقاوم، ودعم كل الجهود المبذولة لتحرير بيت المقدس وأكنافه المباركة.

أمَّا ما يحويه الجزء الأخير من الحديث فهو يعبر عن البشارات المرتبطة ببيت المقدس والتي سأعرض لجزءٍ منها في النقطة التالية.

إضاءة: رغَّب النَّبي ﷺ في رزق وغنيمة دائمين مضمونين من المولى القدير مصدرهما بيت المقدس وأكناف بيت المقدس خصَّ بهما نبيه ﷺ وأمته من بعده.

خامساً: بشارات للمجاهدين مرتبطة ببيت المقدس

صورٌ لافتة للنظر تستدعي الوقوف عندها مليّاً، ففي أوقات الشدة والمحنة التي كانت تطبق على النَّبي ﷺ وأصحابه، كان ﷺ يُسرِّي عن أصحابه بذكر المسجد الأقصى المبارك، وأنهم لن يتجاوزوا تلك المحنة التي يعيشونها ويمرون بها فحسب، بل إنهم سيخرجون منها أقوى وأشد شوكة وشكيمة، حتى إن الله سيفتح لهم بيت المقدس والشام!!

إنه هديٌ واضحٌ جلي، تكرَّر في مواضع كثيرة من سيرة المصطفى ﷺ، لا يخفى على كل متصفح لأحداث السيرة النبوية..

ففي وقت عصيب جداً، زاغت فيه الأبصار، وبلغت فيه القلوب الحناجر، جاءت بشارته ﷺ بفتح بيت المقدس، لتكون بلسماً شافياً لقلوب المؤمنين، وبرداً وسلاماً عليهم، في ذات الوقت الذي فضحت فيه خبايا المنافقين، وكشفت ضعفهم، وخور عزيمتهم، وزيف إيمانهم، وقلة أدبهم مع الله ورسوله..

كان ذلك في يوم الأحزاب، عندما تحركت الأفعى اليهودية الخبيثة برأسها الشيطاني حيي بن أخطب لتأليب قريش وبني غطفان وبني قريظة ضد المسلمين، لاجتثاث شأفتهم، وإبادة خضرائهم، فأمر النَّبي ﷺ أصحابه بحفر الخندق.. وكانت البشارة..

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «لمَّا كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك إلى النَّبي ﷺ فجاء فأخذ المعول فقال: "**بسم الله**" فضرب ضربة، فكسر ثلثها، وقال: "**الله أكبر أُعطيتُ مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة**".

ثم ضرب الثانية، فقطع الثلث الآخر فقال: "**الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض**".

ثم ضرب الثالثة، وقال: "**بسم الله**" فقطع بقية الحجر فقال: "**الله أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة**"»[1].

وأورد ذلك الواقدي في (المغازي) والمقريزي في إمتاع الأسماع برواية: «وضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمعول فصادف حجراً صلداً، فأخذ رسول الله ﷺ منه المعول فضرب ضربة، فذهبت أوّلها بَرْقة إلى اليمن، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة إلى الشأم، ثم ضرب أخرى فذهبت بَرْقة نحو المشرق، وكُسر الحجر عند الثالثة، فقال ﷺ: "**إني رأيت في الأولى قصور اليمن، ثم رأيت في الثانية قصور الشأم، ورأيت في الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن**". وجعل يصفه لسلمان فقال: صدقت! والذي بعثك بالحق إنَّ هذه لصفته! وأشهد أنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: "**هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي، يا سلمان لتفتحنّ الشَّام ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته، وتظهرون على الشَّام ولا ينازعكم أحد، ولتفتحن اليمن، ولتفتحن هذا المشرق ويقتل كسرى فلا يكون كسرى بعده**"».

ومعلومٌ أن ردّ فعل المنافقين على هذه البشارات كان كريهاً، مشيناً، مقيتاً،

---

(١) الراوي: البراء بن عازب، المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: فتح الباري لابن حجر، الصفحة أو الرقم: ٧/٤٥٨، خلاصة الدرجة: [إسناده حسن]. أخرجه أحمد في المسند: ٤/٣٠٣، والنسائي: ٦/٤٣-٤٤، والبيهقي في الدلائل: ٣/٤١٧-٤١٨.

إذ قالوا: يعدنا محمّد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته! ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً[١]!!. وأكاد أجزم أن البعض سيختار التشبه بمنافقي يوم الأحزاب، فيقول: أنتم تتكلمون عن القدس عاصمةً لخلافةٍ طويلة عريضة!! ونحن وكل الدول العربية غير قادرين على مفاوضة اليهود على جزء بسيط منها، نتخذه عاصمة للدولة الفلسطينية!!.. والتاريخ يعيد نفسه دون أن تتغير سنن الله الإلهية النافذة.

وعودة إلى حبيبنا المصطفى ﷺ فهاهو في صورة معبرة أخرى يمسح عن أصحابه أحزانهم وهمومهم بتبشيرهم بفتح بيت المقدس وتحولها إلى مقر للخلافة الإسلامية.

فعن ابن زغب الإيادي، قال: نزل عليَّ عبد الله بن حوالة الأزدي فقال: «بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئاً، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال:

"**اللهم لا تكلهم إليَّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم**". ثم وضع يده على رأسي، أو قال: على هامتي، ثم قال: "**يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدَّسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك**"»[٢].

إن لنا في هذا الحديث بشارة عظيمة، بأنّ ما جرى ويجري لبيت المقدس اليوم على يد اليهود الآن من اغتصاب وتدنيس لن يطول كثيراً، لأنها ستبقى إلى قيام الساعة مدينة إسلامية عتيدة، بل إنها ستحظى بمكانة لا تدانيها مكانة بأن

---

(١) إمتاع الأسماع: المقريزي، ١/٢٢٨.

(٢) الراوي: العرباض بن سارية، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٧٨٣٨، خلاصة الدرجة: [صحيح]. أخرجه أبو داوود: برقم ٢٥٣٥، وأحمد في المسند: ٥/٢٨٨، والحاكم في المستدرك: ٤/٤٢٥، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

تصبح عاصمة الخلافة الإسلامية، ومقراً لأعظم الخلفاء من بعد رسول الله ﷺ ألا وهو عيسى عليه السلام، الذي سيحكم بالإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ومقر حكمه بيت المقدس، وهو ما يبعث رسالة واضحة بأن لا مكان أبداً للتنازلات في ملف القدس مع المغتصبين الذين يهذرون بأنها عاصمتهم الأبدية، لا مكان لليأس والقنوط مهما توالت السنين وتعاقبت.

وأنتقل هنا إلى حديثٍ مؤثرٍ جداً ينعى فيه رسولنا ﷺ نفسه لأصحابه، وهو أمرٌ لا يمكن لأحد أن يحتمل وقعه بسهولة، ما جعل النَّبي ﷺ يتبعه بخبر يخفف من هوله وشدة تأثيره، فيختار لهم أن يربط ذلك الخبر بخبر سارّ مفرح لأصحابه، ألا وهو.. فتح بيت المقدس!! وإليكم هذه الصورة البليغة.

عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو في بناء له، فسلمت عليه فقال: "**عوف؟**"، قلت: نعم يا رسول الله! قال "**ادخل**". فقلت: كلّي أم بعضي؟ قال: "**بل كلّك**"، قال: فقال لي: "**اعدد عوف! ستاً بين يدي الساعة؛ أولهن موتي**". قال: فاستبكيت حتى جعل رسول الله ﷺ يسكتني. قال: "**قل: إحدى، والثانية فتح بيت المقدس، قل: اثنين. والثالثة: فتنة تكون في أمتي، وعظَّمها. والرابعة: موتان يقع في أمتي يأخذهم كقُعَاص الغَنَم. والخامسة: يفيض المال فيكم فيضاً حتى إن الرجل ليعطى المئة دينار فيظل يسخطها، قل: خمساً. والسادسة: هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، يسيرون إليكم على ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها: الغوطة، فيها مدينة ويقال لها: دمشق**"»[1] اللفظ لأحمد.

---

(١) الراوي: عوف بن مالك الأشجعي، المحدث: الألباني، المصدر: فضائل الشَّام ودمشق، الصفحة أو الرقم: ٣٠، خلاصة الدرجة: [صحيح]. و أخرجه البخاري: رقم ٣١٧٦، وأبو داوود: برقم ٤٢٩٣، وابن ماجه: ٤٠٤٢، ٤٠٩٥، وأحمد في المسند: ٦/ ٢٢ و٢٥ و٢٧، والمقدسي في فضائل بيت المقدس: حديث رقم ٤١، والربعي في فضائل الشَّام: رقم ٣٠، والطبراني في الكبير: ١٨/ ٤٢، والبيهقي في السنن: ١٠/ ١٥٥، ٩/ ٢٢٣، وفي الدلائل: ٦/ ٣٢٠.٣٢١، وابن منده في الإيمان: رقم ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، وابن حبان في الإحسان: رقم ٦٦٤٠.

قُعاص الغَنَم: قال ابن الأثير: داء يأخذ الغَنَم، لا يلبثها أن تموت.

إنه يبشر أصحابه بأن أول حدث عظيم يعقب موته ﷺ هو فتح بيت المقدس، فلا مكان للحزن والجزع والاكتئاب، وقد بشَّرهم بأن هذا الدين سيبقى قائماً، ويزداد قوة حتى بعد موته ماداموا يسيرون على نهجه ويحملون لواءه ويجاهدون جهاده..

لا مكان للاستسلام للبكاء على فقده والحزن على فراقه، فبيت المقدس بانتظار أصحاب محمّد ﷺ الذي تشرَّفت أرضه وسماؤه بمقدمه ليلة الإسراء والمعراج، وساحات المسجد الأقصى المبارك في شوقٍ لجباهٍ لا تسجد إلا لخالقها، وهاماتٍ لا تنحني إلا ذلَّة وخضوعاً له وحده.

وتأكيداً لتلك البشارات المرتبطة بالجهاد في سبيل الله، فإن هناك بشارات أخرى تعززها، وتتعلق بهلاك أعداء الله نتيجةً حتمية، وسنة لا تتغير، وهي ثمرة من ثمرات الجهاد في سبيل الله. لكنها هنا متميزة بأنها تحدث على أرض بيت المقدس، وهو ما سأتناوله في النقطة القادمة.

إضاءة: ربط النَّبي ﷺ بيت المقدس بأحداث عظيمة، وانتصارات جليلة، وبشائر سارة بهيجة، لتصبح مبعث تفاؤل دائم لأتباعه على مدى الزمان بعلو قدر هذا الدين ورفعته مهما ادلهمت الخطوب وازدادت المحن.

سادساً: هلاك أعداء الله على أرض بيت المقدس

المسلم بطبيعته صاحب حسٍّ مرهف، يدعو الله في كل ركعة أن يهديه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يجنبه طريق المغضوب عليهم والضالين.. وهو يسعى في الأرض جاهداً مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة الله لتكون هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى..

ورسول الله ﷺ الهادي البشير يطمئن أتباعه بأنهم الأعلون على مدى الزمان، وأن أشدَّ الخلق عتوّاً وتجبّراً وكفراً وفساداً وإفساداً لا يمكن أن يطول مكثهم

وبقاؤهم، وأن مصيرهم إلى الهلاك بما توعَّده الله لهم على لسان نبيه ﷺ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة: ٩/ ٥٢].

إن من اللافت للنظر حقاً هو إشارة النَّبي ﷺ إلى أن بيت المقدس سيكون مقبرة لأعداء الله، ومهلكهم على مدى الزمان، حتى وإن بلغوا أقصى مراتب القوة والجبروت..

كان من هديه ﷺ في غرس حبّ تلك الأرض المباركة أنه بشَّر أصحابه بهلاك أعتى الكفرة والمتجبرين عليها، وعلى رأسهم المسيح الدجّال وأتباعه اليهود (أشد الناس عداوة للذين آمنوا) وهلاك يأجوج ومأجوج في آخر الزمان الذين لا قبل لأحد بهم..

إنها أرض مباركة؛ تبغض الكفر وأهله، والباطل وحزبه، ولا تقبل لهم أن يبقوا عليها آمنين مطمئنين أبداً، فمصيرهم الهلاك المحتوم، وهو ما تحدثت به أحاديث الحبيب المصطفى ﷺ..

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "**يأتي المسيح من قبل المشرق، همتُهُ المدينة، حتى ينزلَ دُبُرَ أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهنالك يهلك**"(١).

وفي رواية لأحمد: "**ويأتي المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى إذا جاء دُبُرَ أُحدٍ تلقته الملائكة فضربت وجهه قبل الشام، هُنالك يَهْلكُ، هنالك يهلك**"(٢).

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٧٩٩٥، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٢) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: ١٧٧٠، خلاصة الدرجة: إسناده [صحيح] على شرط مسلم. أخرجه مسلم: برقم ١٣٨٠، وأحمد في المسند: ٢/ ٣٩٧، ٤٠٧، ٤٥٧، والترمذي: برقم ٢٢٤٣، وأبو يعلى: برقم ٦٤٥٩، وابن حبان: برقم ٦٧٧١.

وفي حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي. فقال لي: "**ما يبكيكِ؟**". قلت: يا رسول الله: ذكرت الدجّال فبكيت. فقال رسول الله ﷺ: "**إن يخرج الدجّال وأنا حي كفيتكموه، وإن يخرج الدجّال بعدي فإن ربكم عز وجل ليس بأعور، إنه يخرج في يهودية أصبهان، حتى يأتي المدينة، فينزل ناحيتها، ولها يومئذٍ سبعة أبواب، على كل نقب منها ملكان، فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتي الشام، مدينة بفلسطين بباب لد**- وقال أبو داوود مرة: **حتى يأتي فلسطين بباب لد - فينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إماماً عدلاً، وحكماً مقسطاً**"»[1] اللفظ لأحمد.

واللد: مدينة تقع على مسافة ١٦ كيلو متر جنوبي شرق يافا، ونحو خمسة أكيال شرق الرملة، وعلى مسافة ٢٦ كم شمال غرب القدس[2].

هذه الأحاديث وغيرها -مما أوردتها سابقاً في نقطة (العصمة من الدجّال)- تقطع بهلاك الدجّال على أرض فلسطين الحبيبة، التي شهدت انكسار الروم واندحار الصليبيين والتتار في أجنادين وحطين وعين جالوت، وعلى أرضها الطاهرة سنشهد لا محالة زوال العلو والإفساد اليهودي بسنة الله الجارية وأمر الله النّافذ وبشارة نبيه ﷺ بذلك..

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر**

---

(١) الراوي: عائشة، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ٧/ ٣٤١، خلاصة الدرجة: رجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة، قلت (إبراهيم العلي): الحديث صحيح الإسناد. وقد أخرجه أحمد في المسند: ٦/ ٧٥، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥/ ١٣٤، برقم ١٩٣٢٠، والبيهقي في البعث: برقم ١٩٨، وابن حبان: برقم ٦٧٨٣.

(٢) معجم بلدان فلسطين لمحمّد محمّد شراب: ٦٣٧.

والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود"(١) اللفظ لمسلم.

وفي لفظ البخاري "**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**"(٢).

وفي رواية أخرجها البزار في مسنده بإسناد حسن: "**لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجّال على نهر الأردن أنتم شرقيه وهم غربيه**"، ولا أدري أين الأردن يومئذ(٣).

أما البلاء الأكبر الذي نتذكره كلما مرت بنا آية: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٨/ ٩٤]، وآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٩٦]، فإن هلاكهم المحتوم سيكون على أرض فلسطين، ببشارة رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث الطويل: عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: " ..**فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجتُ عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مَرةً ماء. ويحصر**

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: **٧٤٢٧**، وهو في صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: **٢٩٢٢**، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٢) الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري: برقم **٢٧٨٩**، ومر برواية مسلم: برقم **٢٩٢٢**، وهو عند أحمد في المسند: **٢/ ٤١٧**، والخطيب في التاريخ: **٧/ ٢٠٧**، البغوي في شرح السنة: برقم **٤٢٤٣**.
الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجّال واليهود، قال أبو حنيفة الدينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة، شرح صحيح مسلم: **١٨/ ٤٤-٤٥**.

(٣) الراوي: نهيك بن صريم السكوني، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: **٧/ ٣٥٢**، خلاصة الدرجة: رجال البزار ثقات رجال الصحيح.

نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل الله عليهم النَّغَف[١] في رقابهم، فيصبحون فرسى، كموت نفسٍ واحدة.

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٢]ونتنهم! فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت[٣]، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[٤]، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة[٥] من الرمانة، ويستظلون بقحفها[٦]، ويبارك في الرِّسْل[٧]، حتى إن اللقحة[٨] من الإبل لتكفي الفئام[٩] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون[١٠] فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم

(١) ورد في النهاية: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، وهو أيضاً الدود الذي يكون في أول أطوار الحشرات قبل اكتمال نموها.
(٢) ورد في النهاية: الزهمة: الريح المنتنة. والمراد أن الأرض تنتن من جيفهم.
(٣) ورد في النهاية: البختية: الأنثى من الجمال البخت، والذكر بختي، وهي جمال طوال الأعناق.
(٤) ورد في النهاية: الزلفة: جمعها زَلَف: مصانع الماء، وتجمع على المزالف، وقيل الزلفة هي المرآة أو الروضة.
(٥) ورد في النهاية: العصابة: الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين.
(٦) ورد في النهاية: القحف: القشر.
(٧) ورد في النهاية: الرسل: القطيع.
(٨) ورد في النهاية: اللقحة: ذات اللبن من النوق وغيرها.
(٩) ورد في النهاية: الفئام: الجماعة.
(١٠) ورد في النهاية: التهارج: التسافد والجماع، أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس علانية كما يفعل الحمير.

الساعة". وفي رواية: وزاد بعد قوله: "- **لقد كان بهذه مرة ماء - ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً**"[(١)].

جبل الخُمرِ: هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه وهو جبل بيت المقدس.

إن من يعتدي على الأرض المباركة يوشك الله تعالى أن يعمّه بغضبه، فاليهود الذين اغتصبوا أرضنا المقدَّسة وعاثوا فيها فساداً، فلم يسلم منهم بشر أو حجر أو شجر، سيعاقبهم الله تعالى بأن يُشهد عليهم الحجر والشجر..

إنهم هم الذين جففوا بحيرة (الحولة) الواقعة شمال فلسطين في المنطقة التي يطلق عليها اسم (أصبع الجليل)، والتي كانت ترفد بحيرة طبريا بالماء، فهم يشتركون في ذلك مع يأجوج ومأجوج الذين سيعتدون على تلك البحيرة ويجففون ماءها بشؤمهم وانعدام بركتهم فيكون مهلكهم -كما اليهود- على تلك الأرض المقدَّسة.

ولا يظنّ ظانّ أن بقاء اليهود سيطول على أرضنا المقدَّسة، فما يزال أبناء تلك الأرض المباركة يرفعون شعار (الأرض لنا والقدس لنا والله بِقوَّته معنا)، وما يزال لديهم نَفَسٌ طويل لمواصلة طريق الجهاد والاستشهاد، فهم يمتلكون رصيداً جهادياً ضخماً يستمدونه من آيات الكتاب المستبين، وأحاديث المصطفى الأمين، وسيرته العطرة الحافلة بالغزوات والمعارك المكللة بالنصر المبين، وسيرة أصحابه والتابعين، ومن بعدهم القائد المظفر صلاح الدين الذي مرّغ أنف الصليبيين في معركة حطين.

كما أن عدوّنا أيضاً يمتلك مقوّمات الهزيمة بكل أبعادها، أكتفي بعرض نموذج

---

(١) الراوي: النواس بن سمعان الكلابي، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ٢٩٣٧، خلاصة الدرجة: [صحيح]. وأخرجه الترمذي: برقم ٢٣٤١، وأبو داوود: برقم ٤١٥٢، ٤٢٩٩، وابن ماجه: برقم ٤٠٧٥، والحاكم في المستدرك: ٤/ ٤٩٢-٤٩٤، وأحمد في المسند: ٤/ ١٨١.

واحد فقط على ما تنطوي عليه نفسيات القوم، فرئيس وزراء يهود الأسبق بن غوريون قال: «إن أخشى ما أخشاه أن يظهر في العالم العربي محمّد جديد»، وهذا الجنرال شلومو باوم أحد أبرز القادة العسكريين الصهاينة، والذي كان يوصف بأنه أسطورة جيش العدو، وكان يراه رئيس وزراء العدو الأول ديفيد بن غوريون (مفخرة الدولة اليهودية)، في حين قال عنه المجرم آرئيل شارون: إنه «آلة حرب متحركة تتجسد في جسم بشري»، وبالرغم من أنه خدم ٣٥ عاماً في الجيش، إلا أنه رفض بإصرار الحصول على إجازة ولو ليوم واحد، وقد شارك في أكثر من ألف عملية عسكرية، معظمها خلف مواقع القوات العربية، واشتهر بتنفيذ مجزرة (قبية) عام ١٩٥٤م تحت إمرة شارون، علاوة على اشتهاره بالقسوة الشديدة في تعامله مع العرب الذين وقعوا في أسره، وكانت سيرته الذاتية تدرس لطلاب المدارس، وكثير من شعراء كيان العدو تغنَّوا بـ (بطولاته).

وعندما حلّت ذكرى وفاته، نشر الكاتب الصهيوني حاييم هنغبي مقالاً في صحيفة (معاريف) العبرية، كشف آفاقاً أخرى في شخصية باوم، حيث يشير إلى أنه لكثرة ما سمع من إطراء على باوم قرر التعرف عليه بعد تسريحه من الجيش، لمعرفة الدوافع الكامنة وراء (معنوياته العالية، وشعوره المطلق بعدالة ما يقوم به).

ويضيف هنغبي أنه عندما توجه إلى باوم في شقته، وجد إنساناً آخر غير الذي سمع عنه، وجد شخصاً قد تملكه الخوف، واستولى عليه الهلع، واستبد به القلق، ويشير إلى أنه عندما سأله عن سر دافعيته الكبيرة لقتال العرب وحرمان نفسه في سبيل ذلك من الراحة لعشرات السنين، فإذا بباوم يصمت هنيهة، ثم يقوم من مجلسه ويحضر ملفاً كبيراً يأخذ بتقليب صفحاته، ثم يقدمه لهنغبي، ويقول: «هل سمعت عن الحروب الصليبية؟ هل سمعت عن معركة حطين؟ هل سمعت عن شخص يدعى صلاح الدين؟».

يقول هنغبي: «عندها قلت له مستنكراً: لكن العالم العربي الآن في أقصى مستويات الضعف في كل المجالات»، فيضحك باوم ساخراً، ويقول: «لقد كانت أوضاع المسلمين قبل معركة حطين تماثل من حيث موازين القوى أوضاع

العرب حالياً»، وكما يؤكد هنغبي فإن باوم لم يفته أن يذكر أن الدويلات العربية التي كانت قائمة في ذلك الوقت تقوم (بدور كلاب حراسة للممالك الصليبية)، أما عن سرّ قلقه، فيقول باوم: إن أكثر ما أزعجه من دراسة تاريخ الحروب الصليبية، هو قدرة صلاح الدين على بعث نهضة العرب من جديد، وتنظيم صفوف قواته، بعكس المنطق الذي تمليه موازين القوى العسكرية.

ويواصل باوم شرح مخاوفه كما رواها هنغبي قائلاً: «منذ عشرين عاماً، وأنا أحاول رصد الأسباب التي جعلت المسلمين يحققون هذا النصر الأسطوري وفق منطق العقل والتحليل العسكري، وإن ما جعلني أتعلق بالحرب هو حرصي على أن أقوم بكل شيء من أجل عدم تهيئة الظروف لمولد صلاح الدين الأيوبي من جديد، إن (دولة إسرائيل) ستنهار على يد الإسلاميين أحفاد صلاح الدين، وأنا على يقين أن شخصاً مثل صلاح الدين سينهض من جديد، وإننا نحتاج إلى معجزة لتحول دون انهيار (دولة إسرائيل)».

إضاءة: بيت المقدس تحظى بشرف عظيم يميزها عن كل البلاد وهو ما أشار إليه رسول الله ﷺ في أكثر من موضع أنها تكون مقبرة الغزاة والمجرمين، وعليها يهلك عتاة الكفرة والمجرمين وعلى رأسهم الدجّال واليهود ويأجوج ومأجوج.

سابعاً: تجهيزه ﷺ الجيوش لفتح بيت المقدس

إن كان الرسول ﷺ قد بشر أصحابه بفتح بيت المقدس بعد موته، فإنه لم يتوان خلال حياته عن تجهيز الجيوش للتمهيد لذلك الفتح، فكان هديه الجهادي بعقد الألوية، وتجهيز الجيوش، وإرسالها تجاه الشام، جزءاً من سياسة عامة، تهدف إلى ترسيخ أهمية تلك البقعة في نفوس أصحابه، والأولوية المتقدمة لضمها إلى السيادة الإسلامية، وضرورة متابعة ذلك الأمر حتى يتكلل بالفتح المبين لتلك الأرض المقدَّسة..

فهذه مؤتة، تشهد أنه أرسل إليها جيشاً جراراً اختار له قادة مِن أحبّ أصحابه

إلى نفسه، فزيد بن حارثة هو الذي كان يطلق عليه اسم (زيد بن محمّد) قبل بطلان التبني، وبقي معروفاً بحِبِّ رسول الله، ذلك الصحابي الجليل الذي نشأ وترعرع في بيت النَّبي ﷺ واختار أن يكون في كنف الحبيب المصطفى ﷺ بدلاً من أبيه، في موقف جليل عندما جاء والده وعمه إلى رسول الله فدخلا عليه فقالا: يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيِّد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ولدنا، فامنن علينا، وأحسن في فدائه، فترك النَّبي ﷺ لزيد حرية الاختيار، فقال لهما: "**ادعوا زيداً، خيروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء**".

ففرح حارثة، وقال للنبي ﷺ: لقد أنصفتنا، وزدتنا، وأحسنت إلينا، فلما جاء زيد سأله النَّبي ﷺ: "**أتعرف هؤلاء؟**" قال زيد: نعم: هذا أبي، وهذا عمّي، فقال الرسول ﷺ لزيد: "**فأنا مَنْ قد علمت ورأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما**"، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم. فدهش أبوه وعمّه وقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟! فقال زيد: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً.

فلما رأى الرسول ﷺ ذلك فرح فرحاً شديداً، ودمعت عيناه، وأخذ زيداً وخرج إلى حجر الكعبة حيث قريش مجتمعة، ونادى: "**يا من حضر، اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه**" فلما رأى أبوه وعمه ذلك طابت نفساهما.

وصار زيد لا يُعْرف في مكة كلها إلا بزيد بن محمّد، ففي الصحيحين: «أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمّد، حتى نزل القرآن: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٥][(١)]، فلما جاء

(١) الراوي: عبد الله بن عمر، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٤٧٨٢، وصحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ٢٤٢٥، خلاصة الدرجة، [صحيح].

الإسلام أسلم زيد، وكان ثاني المسلمين، وأحبه الرسول حبّاً عظيماً[١].. ومع كل ذلك فقد اختار حبيبه زيد بن حارثة ليكون قائداً للجيش المتجه إلى الشام..

أما القائد الثاني فجعفر بن أبي طالب، ابن عمه الأثير، الحبيب إلى قلبه، الذي سرّ بلقائه بعد طول فراق، وذلك قبيل مؤتة بقليل عندما ترك الحبشة وعاد إلى المدينة، فلم يجد بها رسول الله ﷺ، فلحقه إلى خيبر وقت انتصاره وفراغه من الغزوة، فلم يُخْفِ رسول الله ﷺ فرحه وغبطته وسروره بذلك اللقاء بقوله: "**ما أدري بأيّهما أنا أسرُّ؟ بفتح خيبر.. أم بقدوم جعفر!!**" وفي رواية: "**والله ما أدري بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**"[٢].

ولعل تسلسل أحداث السيرة يعطي فكرة عن اهتمامات النَّبي ﷺ بفتح الشام، فإنه بمجرد انتهائه من القضاء على وكر الخيانة والفساد والإفساد في خيبر، أرسل جيشاً إلى الشام، فكانت غزوة مؤتة جمادى الأولى ٨هـ، فيما بدأ بالتجهيز لفتح مكة الذي تم في رمضان ٨هـ، وأعقب ذلك بغزوة تبوك إلى الشَّام أيضاً رجب ٩هـ، فبعد أن طهَّر البيت الحرام من الأصنام ورجس الشرك، جاء دور المسجد الأقصى المبارك، ولكنّ أجله ﷺ لم يمهله إلا بأن يجهز جيشاً كبيراً أمّر عليه أسامة بن زيد (الحِبّ بن الحِبّ)، و"**أمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم[٣] من أرض فلسطين**".. وفي رواية "**وأمره أن يوطئ الخيل نحو البلقاء حيث قتل أبوه وجعفر**"[٤].

وقد ورد عن ذلك توجيهه لأسامة بقوله ﷺ: "**سر إلى موضع مقتل أبيك**

---

(١) ابن حجر.

(٢) الراوي: الشعبي، المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أو الرقم: ٣٥٠، خلاصة الدرجة: حسن. وقد ورد في زاد المعاد: ٢/ ١٣٩، والمعجم الصغير للطبراني: ١/ ١٩.

(٣) وجاء: وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء وقلعة الداروم القريبة من غزة من بلاد الروم.

(٤) الراوي: عروة بن الزبير، المحدث: ابن رجب، المصدر: فتح الباري لابن رجب، الصفحة أو الرقم: ٢/ ٥٥٢، خلاصة الدرجة: [في إسناده ضعف].

فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فاغز صباحاً على أهل (ابنى)، وحرِّق عليهم، وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن أظفرك الله عليهم، فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلّاء، وقدم العيون والطلائع أمامك"[(١)]..

ذلك الهدي النبوي اتضح أثره في أصحابه الأوفياء، فقد أصرّ أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه على إنفاذ بعث أسامة على ما كان يتهدد المدينة من مخاطر مع تفاقم خطر المرتدين عليها. وأتبع ذلك بتسيير خمسة جيوش إلى الشام، وأعقبه في ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه متمسكاً بهدي نبيه ﷺ حتى فتح الله على يديه بيت المقدس، وطهَّر المسجد الأقصى المبارك من الدنس.

أما العجب كل العجب فأن تضنَّ دولنا الإسلامية بأبنائها لتحرير بيت المقدس وتطهيره من الرجس اليهودي، وكأن أبناءهم أعز من زيد وأسامة وجعفر، أو أنّ أرضهم أولى بالحماية من أرض المسجد الأقصى المبارك!! ولو أنهم اقتفوا أثر نبيهم ﷺ لزال عنهم الوهن الذي أغرى أعداءهم بهم كما قال ﷺ: **"يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"**، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: **"بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن"**، فقال قائلٌ: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: **"حبّ الدنيا، وكراهية الموت"**[(٢)].

إنّ لنا في أصحاب النَّبي ﷺ أسوة حسنة، فما يزال ظِلّ عمر الفاروق رضي الله عنه وطيفه، يخيفان أولئك الذين تسللوا إلى قدسنا وأرضنا المباركة ونحن في غفلة عمَّا يدبرونه ويخططونه.. إنهم لم يستطيعوا إخفاء رعبهم من عودته مجدداً لطردهم من بيت المقدس وتطهيرها منهم ومن دنسهم، يعبر عن ذلك ما أورده الكاتب المتخصص بالشؤون الصهيونية صالح النعامي تحت عنوان (عمر بن الخطاب يقض مضاجع الصهاينة) فكان مما كتبه فيه:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: سرية أسامة بن زيد بن حارثة.

(٢) الراوي: ثوبان مولى رسول الله، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: ٩٥٨، خلاصة الدرجة: [صحيح بمجموع طرقه].

يعد تيدي كوليك رئيس بلدية الاحتلال في مدينة القدس الأسبق الذي توفي قبل عامين أحد أبرز قادة الحركة الصهيونية على الإطلاق، ولم يكتسب كوليك مكانته الكبيرة في سلم القيادة الصهيونية بفضل جهوده في مجال تهويد مدينة القدس فقط، ومسؤوليته عن مضاعفة مساحة المدينة عدة مرات منذ العام ١٩٦٧م، ببناء المزيد من الأحياء الاستيطانية، بل أيضاً بفضل سجله الكبير في العمل الأمني والاستخباري، علاوة على حقيقة أنه كان أوثق مستشاري رئيس الوزراء الإسرائيلي الأول ديفيد بن غوريون، لكن جانباً هامّاً من تفكير كوليك في السنوات القليلة قبل وفاته -والذي كان غائباً عن الجمهور الإسرائيلي- كشف عنه النقاب صديقه رجل الأعمال يوسي أهارونوش، الذي قال في مقابلة مع الإذاعة (الإسرائيلية) باللغة العبرية: إن كوليك أقبل في السنوات الأخيرة بعدما أنهى منصبه رئيساً للبلدية على دراسة تاريخ المدينة، حيث إن أكثر ما أصابه بالفزع هو نجاح المسلمين في فتح المدينة وبقية فلسطين في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، وتمكن المسلمون من الحفاظ على المدينة لقرون طويلة، وينوِّه أهارونوش إلى أن كوليك توقف ملياً عند حرص عمر بن الخطاب على القدوم شخصيّاً لتسلم مفاتيح القدس، معتبراً أن هذه الخطوة الذكية تجعل الأجيال المسلمة حاليّاً، وفي المستقبل، ملتزمة بالعمل على إعادة تحرير المدينة وطرد الإسرائيليين منها، علاوة على أن خطوة عمر مثَّلت مصدراً لأسلمة القضية الفلسطينية، ويضيف أهارونوش: «تيدي الذي لم يكن من السهل أن يشعر بالإعجاب تجاه أي زعيم، مات وهو شديد الإعجاب بشخصية عمر بن الخطاب، وحرص على دراسة سيرته، وكان يعتبره رجل دولة وصانع قرار من الطراز الذي قلَّما عرفه العالم على مر العصور»، وأوضح أهارونوش أن «دراسة تاريخ المدينة المقدَّسة جعلت كوليك قبل وفاته أقل ثقةً بمستقبل المشروع الصهيوني»[١].

(١) عمر بن الخطاب يقض مضاجع الصهاينة، المصدر: موقع الإسلام اليوم/ صالح النعامي.

إضاءة: خطا النَّبي ﷺ بأصحابه خطوات عملية لربطهم ببيت المقدس من خلال تجهيز جيوش الفتح نحوها، واختيار أحبّ أصحابه قادة لتلك الجيوش.